التجديد في الشعر الاندلسي

شعر المعارضات

- **المعارضة لغةً:**

هي المقابلة فيُقال فلانٌ يُعارضني أي : يباريني ،وعارضته في السير إذا سرتُ حِياله وحاذيته ، وعارَضَ الشيءَ بالشيءَ مُعارضةً قابَلَه وعارَضْتُ كتابي بكتابه أَي قابلته وعارضته مثل ما صنع أي : أتيت إليه بمثل ما أتى وفعلتُ مثلَ ما فعل.

- **المعارضة اصطلاحا:**

المعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما . من أيّ بحرٍ وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفنّي وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة في بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها مع انحراف يسير أو كثير حريصاً على أن يتعلَّق بالأول ودرجته الفنّية ويفوقه، فيأتي بمعانٍ أو صور بإزاء الأولى ، تبلغها في الجمال الفنّي أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل و جمال التمثيل أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة. ولا علاقة بين اتفاق الشاعرين في العصر أو اختلافهما فيه .

ولم تقتصر المعارضات على الشعر الاندلسي فقط إذ أنَّ المعارضات كانت في الشعر و النثر بل حتى في الحياة اليومية وماذاك إلا لإعجاب الأندلسيين بأدب المشرق وتأثرهم به لأنَّهم كانوا يجدون فيه الوطن الأم الذي نزحوا منه ومرجعهم الحقيقي، ذلك ما نشهده أيضاً في اتخاذهم أسماء الكتب والمؤلفات مماثلة لنظائرها المشرقية واحتذائهم فيها مناهج مشابهة لكتب المشارقة فكتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه حاكى فيه (عيون الأخبار) لأبن قتيبة ، وكتاب ابن بسّام الشنتريني المشهور (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) تأثر في تأليفه بكتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي، وليحيى بن الحدج المرسي كتاب (الأغاني الأندلسية) وهو كتاب يشبه كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الاصفهاني وهكذا (ولأبن شرف القيرواني) مقامات يعارض فيها البديع (بديع الزمان الهمذاني) كما عارض أبو حفص بن برد أبا الفضل ابن العميد في بعض رسائله الديوانية بل أنهم شبَّهوا ملوك الأندلس بالخلفاء العبّاسيين ، بل حتى إطلاق ألقاب شعراء المشرق على شعرائهم فلقبوا الخطار حسام بن ضرار بلقب عنترة، وابن زيدون لقب بالبحتري وحمدونة بنت زياد بالخنساء ويحيى الغزال شبه في خمرياته بأبي نؤاس وهكذا)، ومن هذا يتبين أنَّ المعارضة كانت من ابداع الأندلسيين وذلك لتغلغلها في الشعر والنثر وفي ثنايا حياتهم اليومية.

- **الفرق بين (شعر المعارضة الاندلسية والتقليد)**

إن شعر المعارضات ليس تقليدا؛ لأنَّ مجرد قول الشاعر قصيدة في بحر قصيدة أخرى وقافيتها وموضوعها لا يدل على تقليد مطلق للشاعر السابق فالمعارضة مظهر من مظاهر الإبداع وصورة من صور التفوّق لا سيَّما في مراحلها الأخيرة فقد يبدو الشاعر مقلداً وتكون المعارضة مظهراً من مظاهر هذا التقليد لكنَّه لن يجرؤ على معارضة كبار الشعراء إلا بعد أن تستوي لديه مَلَكَةُ الشعر فيحاول مجاراة أعلام الشعراء و مضاهاتهم . وتنتهي هذه النزعة وتستوي على

ساقها حين يدرك مرتبة أولئك الشعراء الذين بدأ معجباً بهم ومن هنا نقرر بأنَّ المعارضة حالة تتجاوز التقليد إلى الإبداع و المتابعة إلى الابتكار و الشاعر يمزج فيها بين القديم و الجديد.

- **الفرق بين (شعر المعارضة الاندلسية و شعر المناقضات)**

المعارضة تدل على الإعجاب و تعرب عن الوفاء وتتصل بالبراعة الفنيّة التي تصل إلى درجة التحدي . أمّا المناقضات أو (شعر النّقائض) مُصطلح أدبيّ يُطلق على نمطٍ معيّن من الأنماط الشعريّة، وسُمّيت بالنّقائض؛ لأنها تُقال لتنقض ما يقوله الآخر سواء أكان هاجياً أو مُفتخرًا، مع التزامه البحر الشعري الذي اختاره الأول والقافية وحركة الروي، فلا بُدّ من وحدة البحر والقافية والروي. كما وتُعدّ النّقائض من الفنون الشعريّة المهمّة؛ وذلك لما فيها من قصص وعبر وحكم، إضافةً إلى كونها منبعاً للمعاني والصّور الفنيّة المجسّدة للفكرة والمعنى خير تجسيد. وقد ظهر فن النقائض في البيئة الأمويّة بين ثلاثة من فحول الشّعراء العرب المعروفين، وارتبط بهم : جرير، والفرزدق، والأخطل، وهؤلاء الشعراء الثلاثة يعدون من أشهر روّاد هذا الفن؛ وقد أبدع هؤلاء الشعراء في هجاء بعضهم البعض من خلال النقد اللاذع والسخرية على سبيل التهكّم وهذا مما لا يعني أنّ الشّعراء يحملون على بعضهم الكراهية والحقد.

- **ضروب شعر المعارضات**

للمعارضات الأندلسية ثلاثة أضرب، هي :

الضرب الاول ـ معارضة الأندلسيين للمشارقة:

قال مسلم بي الوليد الملقب بـ (صريع الغواني) متغزلاً واصفاً الخمر:

أديرا عليّ الراحَ لا تشربا قبلي ولا تَطلُبا من عِندِ قاتلَتي ذَحلي

فما حَزَني أنّي أموتُ صَبابةً ولكن على مَنْ لا يَحِلُّ لهُ قَتلي

فعارضَه ابن عبد ربه بقوله:

أتقتلني ظُلماً وتجحَدُني قَتلي وقدْ قامَ مِن عينيكَ لي شاهدا عدلِ

أطلابُ ذَحلي ليسَ بي غيرُ شادنٍ بعينيهِ سِحْرٌ فاطلبوا عنده ذَحلي

الضرب الثاني ـ معارضة الأندلسيين فيما بينهم:

ويدخل ضمنها الممحصّات والممحصّات : هي قصائد يعارض فيها قصائد تقدمت في حياته الأولى يلتزم الوزن والقافية وحرف الروي ولكنَّه ينقض نزعته المتساهلة في باب الغزل. قال ابن عبد ربه في معارضته لنفسه:

يا عاجزاً ليسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتدِرُ ولا يُقضَّى له مِن عَيشِهِ وَطَـرُ

عاينْ بِقَلْبِكَ إنَّ العَيـن غافِلَـةٌ عَنِ الحقيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهـا سَقَرُ

وهو يعارض فيها أبياتا قالها في خطاب فتىً كان يألفه أزمع على السفرفحال المطر الغزير دون ذلك فكتب له:

هلا ابتكرت لبينٍ أنت مبتكرُ هيهاتَ يأبى عليكَ اللهُ والقدرُ

ما زلتُ أبكي حذارَ البينِ ملتهفاً حتى رثى ليَ فيكَ الريحُ والمطرُ

الضرب الثالث ـ معارضة المشارقة للأندلسيين:

مثل نونية ابن زيدون فقد عارضها كثيرٌ من شعراء المشارقة، يقول في مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويعدُّ الشاعر أحمد شوقي أبرز شعراء المشرق ممن عارضوا ابن زيدون في نونيته المشهورة، وهو يقول معارضاً قصيدته:

يا نـائِحَ الطَلَحِ أَشباهٌ عَوادينا نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا